اسحر هذا اتخذ الفقه منه موقفاً، ووضع له حكماً. يقول الشهيد ـ نور ا ضريحه ـ في (اللمع الدمشقية) ـ وهي من أغنى كتب الفقه متناً وشرحاً ـ: تعلم هذا الفن واجب كفائى. وتعليل فرض تعلمه واضح، فإن صيانة عقل الأمة واحب بالبداهة، لأن بقاءها عرضة لغزو الشعوذات والتضليل لا يشكل خطراً على عقائدها فقط، بل هو خطر على وعيها التقدمى قبل ذلك، فخضوعها لتضليل الشعوذات يعيبها بالضمور العقلى والسخف اللذين يؤخران سيرها، ويكشفانها لغزو الأقوياء، وإنما فرض تعلمه لإبطال مفاعيله هذه بفضح الشعوذه، تماماً كما فعل موسى (عليه السلام) في مرحلته.

ومثل آخر:

الفلك. الهيئة. الجغرافيا. الرياضيات. علوم لا يتوقف عليها اختصاص الفقيه. . الاختصاص الضيق. فهو لا يحتاج اليها إلا في أبسط ما تتناوله مقدماتها، وفي أبسط معلوماته هو وبدهياته. لا يحتاج اليها في تعيين القبلة من جنوب الجزيرة، وفي عمليات الأرث. وفي تقدير سهام الدولة من الزكاة والفدء. . ومع هذا كان الفقهاء أنفسهم يتعلمونها كمواد مغذية للاختصاص الخاص باعتبار، وكوسائل لتحسين الاختصاص العام باعتبار أقوى. ذلك لأن الفقيه الواعى المخلص العادل. . الفقيه المستوفى لشروطه يحس مسئوليته الكبرى، ويفى بتعهده أن يكون أميناً على رسالته. . رسالة نيابته عن الإمام بكل ما يلزمه به هذا المركز من كفاءات القيادة والعلم والعدل والسهر المتواصل على تصعيد الحياة العامة في درجاتها الارتقائية، وهو يعرف أنه الموجه لربط الأنظمة العليا. . الفوقية، بالنظام الإسلامي الأشتراكى الأساسى.

لهذا يحرص. . كان يحرص أبداً على التوسط بين الثقافات والمعارف والفنون لئلا يفقد معناه وقيمة وجوده.

فماذا حدث بعدئذ؟